

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

الحظائر الثقافية كآلية للحفاظ على التراث الصحراوي في إطار التنمية المستدامة - حظيرتي الأهقار والطاسيلي نموذجا

أ.د جنان عبد المجيد، أ. كحول بسمة (جامعة فرحات عباس سطيف1)

Abstract:

In popular culture, the word desert evokes sun, sand and heat. It is a barren and uncultivated space. This representation, though true to a certain extent, cover a very singular reality.

The Sahara is also oases, that is to say very ancient living places. Speaking of life, it means that the oases are territories or spaces where the activities are organized by men, who still weave relationships between them.

The Algerian Sahara is recently treated as a place of meaning, attract more and more people that traditional Oasis can no more contain. Even the aridity, the Sahara has become attractive both from a standpoint of wealth production or of the amenities it offers.

The state has adopted a range of development programs for both infrastructure and economic activities but also to conserve the region resources, and in this context benefited Ahaggar and Tassili parks of many programs that aim to sustain development activities. And some international institutions have joined this initiative, which aims to protect natural and cultural heritage of this broad region such as the United Nations Development Programme UNDP and the Global Environment Fund FME, which reflects the global importance of this heritage, that can be considered an heritage of all humanity.



مقدمة:

تعتبر الجزائر أكبر دولة في القارة الإفريقية، كما تحتل أيضا المرتبة العاشرة عالميا من حيث المساحة الإجمالية تحمل إرثا تاريخيا كبيرا مكنها لأن تصنف من أهم المناطق الأثرية على مستوى البحر المتوسط على غرار كل من ايطاليا واليونان. وتعتبر الصحراء الجزء الأكبر منها وهي تعد من أكبر وأروع الصحاري في العالم، فهي غنية جدا بالشواهد التاريخية التي تمثل جزء من الذاكرة المحفوظة للمنطقة، حيث تروي لزوارها تلك الحقب الزمنية المتعاقبة والحضارة الإنسانية التي عرفتها، والمتجلية أساسا في الغابات المتحجرة التي تعود إلى أزمنة جيولوجية غابرة إضافة إلى مواقع الكتابات البربرية التي تحمل رسائل مشفرة كانت بمثابة وسائل اتصال بين القوافل التجارية، حيث كانت الصحراء منطقة عبور مهمة تربط شمال القـــارة الأفريقية بجنوبها.

فالصحراء الجزائرية هي منهل لكنوز إنسانية تتجاوز الصورة المتداولة عنها والمنحصرة في أبار النفط والثروات الطبيعية إلى كنوز من نوع آخر غير قابلة للزوال أو النفاد إن أحسن تسييرها، إنها كنوز التراث الإنساني الذي يتميز بالجمال والروعة وهو خلاصة تجربة الإنسان في العيش في هذه المناطق عبر التاريخ.

وهي تعتبر من أثمن محميات التنوع البيئي، بل تكاد تنفرد بهذا الطابع، وهو ما دفع السلطات المسئولة لتصنيف مساحات معتبرة منها كمناطق محمية أو بالتحديد إلى حظائر ثقافية وذلك نظرا للثروات الثقافية الكبيرة التي تتميز بها والتي لا يمكن فصلها بالتأكيد عن بيئتها الطبيعية.

حيث تلعب الحظائر الثقافية دور كبير في الحفاظ على الموروث الطبيعي والثقافي في الصحراء الجزائرية وتحقيق استدامته؛ وخصوصا مع استفادتها من مشروع حماية التنوع البيولوجي في المناطق ذات الأهمية العالمية بمشاركة بعض المؤسسات الدولية مثل برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (PNUD) وصندوق البيئة العالمي (FEM) والذي يهدف في العموم إلى حماية التنوع البيولوجي وفقا لمبادئ التنمية المستدامة بالمنطقة.

وعليه سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية أن نتعرف على أهم الحظائر الثقافية بالجزائر (حظيرتي الأهقار والطاسيلي) وكذا الدور الذي تلعبه في حماية التراث الثقافي والحفاظ عليه



مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

تحقيقا لمبادئ الاستدامة، وذلك من خلال التعرف أولا على بعض المفاهيم المتعلقة بالتراث الثقافي والتنمية المستدامة ومن ثم التعرض للحظائر الثقافية في الجزائر وحظيرتي الأهقار والطاسيلي على وجه الخصوص ومشروع حماية التنوع البيولوجي في المناطق ذات الأهمية العالمية الذي استفادت منه.

أولا: بعض المفاهيم:

المحميات الطبيعية والمواقع التراثية والأثرية:

تعرف **موارد التراث الطبيعي** بأنها "المناطق والمعالم الجغرافية بما تحتويه من معالم طبيعية أو تشكيلات فيزيائية أو بيولوجية أو فيزيولوجية يمكن ربطها بأصل الإنسان أو تاريخه أو ترتبط بأحداث جيولوجية أو تاريخية أو نشاطات بشرية، وتتضمن قيم ثقافية أو جمالية استثنائية أو لها قيمة علمية"[1]؛ وهي ذلك الجزء من البيئة الطبيعية ولا دخل للإنسان في تكوينها أو صنعها.

وتقسم الممتلكات الثقافية إلى:[2]

1. **الممتلكات الثقافية العقارية:** وتشمل - **المعالم التاريخية** كالمنجزات المعمارية الكبرى، والرسم، والنقش، والفن الزخرفي، والخط العربي، والمباني أو المجمعات المعلمية الفخمة ذات الطابع الدينى أو العسكرى أو المدنى؛ -**المواقع الأثرية** كالمواقع الأثرية بما فيها المحميات الأثرية والحظائر الثقافية؛ -**المجموعات الحضرية أو الريفية** مثل القصبات والمدن والقصور والقرى والمجمعات السكنية التقليدية المتميزة.

2. **الممتلكات الثقافية المنقولة:** وتشمل ما يلي: ناتج الاستكشافات والأبحاث الأثرية، الأشياء العتيقة مثل المصنوعات الخزفية، والكتابات، والعملات، والأختام، والحلي والألبسة التقليدية والأسلحة، وبقايا المدافن، الممتلكات الثقافية المتصلة بالدين وبتاريخ العلوم والتقنيات، وتاريخ التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، الممتلكات ذات الأهمية الفنية مثل: اللوحات الزيتية والرسوم المنجزة كاملة باليد، الرسومات الأصلية والملصقات والصور الفوتوغرافية باعتبارها وسيلة للإبداع الأصيل، المخطوطات والمطبوعات طباعة استهلالية، والكتب والوثائق، والمنشورات ذات الأهمية الخاصة، المسكوكات)أوسمة وقطع نقدية(أو الطوابع البريدية.



3. **الممتلكات الثقافية الغير مادية:** وتشمل الأغانى التقليدية والشعبية، والأناشيد، والألحان، والمسرح، وفن الرقص والإيقاعات الحركية، والاحتفالات الدينية، وفنون الطبخ، والتعابير الأدبية الشفوية، والقصص التاريخية، والحكايات، والحكم، والأساطير، والألغاز، والأمثال، والأقوال المأثورة والمواعظ، والألعاب التقليدية.

إن الهدف العام من إقامة المناطق المحمية هو حماية وإبراز الموارد الطبيعية والثقافية والأثرية والتراثية والاستفادة منها بصورة مستدامة ومتوازنة؛[3] ويجب أن تمثل بشكل عام جميع الأنظمة البيئية ذات الأهمية الكبيرة والموائل الطبيعية والنباتات والحيوانات الهامة، إضافة للمواقع ذات الأهمية الثقافية والأثرية والتي لها بعد حضاري وتاريخي، بحيث تعطى الأولوية عند اختيار المناطق لتكون مناطق محمية إلى الموارد الهشة والحساسة بيئيا وتلك التي لها أهمية حضارية وتاريخية كبيرة.

وتقوم عمليات الحفاظ على التنوع الحيوي والمقومات الطبيعية والتراثية والأثرية في هذه المناطق على اتجاهين:[4] داخل المناطق المحمية: أي في نفس المكان، أو خارج هذه المناطق كحماية الكائنات الحية المهددة بالانقراض في حدائق الحيوانات وحماية المقومات الحضارية والأثرية في المتاحف.

I. التنمية المستدامة:

ورد مفهوم التنمية المستدامة لأول مرة في تقرير اللجنة العالمية للبيئة والتنمية عام 1987 وعرفت هذه التنمية المستدامة في هذا التقرير على أنها «تلك التنمية التي تلبي حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية حاجياتهم»[5].

كما عرف برنامج الأمم المتحدة للبيئة 1991 التنمية المستدامة على أنها: «تحسين شروط وجود المجتمعات البشرية، مع البقاء في حدود قدرة تحمل أعباء الأنظمة البيئية».

وتتلخص مبادئ التنمية المستدامة في العناصر التالية:[6]

-**مبدأ العدالة:** يقوم هذا المبدأ على إمكانية حصول الناس على حقوق متوازنة في المجتمع من حيث المكانة والثروة، والتمتع بحصة متوازنة والمشاركة المنصفة في عملية التنمية من خلال السعي لاكتشاف مقومات التنمية.



-**مبدأ التمكين:** أي يجب أن يكون الناس في وضع يتيح لهم المشاركة الكاملة في القرارات والآليات التي توجه حياتهم ومصيرهم، والتي لا يجب أن تصاغ في غيابهم ودون أن يتمكنوا من التعبير عن حاجاتهم ومشاكلهم الفعلية.

-**مبدأ التقارب الاجتماعي:** إن تطبيق هذا المبدأ يرتكز على تنمية الموارد البشرية والقضاء على البطالة وعدم تهميش فئات واسعة من المجتمع وتطور المشاركة وتثبيت مبدئي المساءلة وحسن الإدارة.

وللتنمية المستدامة ثلاثة أبعاد مرتبطة ارتباطا وثيقا فيما بينها. ومن شأن الإجراءات التي تتخذ من أحدها تعزيز الأبعاد الأخرى مما يدعو إلى إحراز تقدم متزامن في كل منها. وتتمثل هذه الأبعاد الثلاثة في:[7]

أ- **البعد الاجتماعي:** تتكون التنمية الاجتماعية من متغيرات التعليم، الصحة ومستوى المعيشة. وتتحقق التنمية الاجتماعية المستدامة عندما تتوافر الموارد اللازمة لمقابلة احتياجات الأجيال القادمة من فرص التعليم ومن الخدمات الصحية ومن معدلات مقبولة لمستوى المعيشة.

ب-البعد الاقتصادي: القصد منه تحقيق معدل التغير في نصيب الفرد من الناتج القومي خلال فترة معينة ويتطلب ذلك مقابلة هذا المعدل مع معدل النمو في الموارد باستخدام التغيرات التي تطرأ على إنتاجية الموارد المتاحة. كما تتطلب التنمية الاقتصادية المستدامة ضرورة انخفاض معدلات النمو في استهلاك الموارد الطبيعية المتجددة عن معدلات النمو ف الكميات المتاحة من هذه الموارد.

جـ- البعد البيئي: يرتبط النجاح بيئيا بحسن الإدارة البيئية للمشاريع الإنمائية ويتطلب ذلك: وجود قانون بيئي، إنشاء مؤسسات معنية بشؤون البيئة، إجراء التقييم البيئي المستمر للمشاريع التنموية، نشر الوعي البيئي والتربية والتدريب وضرورة إدماج مفهوم التثقيف البيئي ضمن المناهج الدراسية. كما تتطلب الاستدامة تغييرا تكنولوجيا مستمرا في البلدان الصناعية لكون التكنولوجي أمر هام في التوفيق بين أهداف التنمية وقيود البيئة.

في العموم يمكن القول أن التنمية المستدامة تتضمن التخطيط لتنمية اقتصادية غير ضارة



بالبيئة، ولا تضع في الوقت نفسه قيودا على طموحات الإنسان المشروعة لتحقيق التقدم والرقي والنمو الاجتماعي والاقتصادي وهي إطار عام من أجل خلق توازن بين النشاط الاقتصادي والتنموي والنظام البيئي والطبيعي، وهذا من منطلق أن التنمية الاقتصادية والمحافظة على البيئة هما عمليتان متكاملتان، ولا يوجد تناقض بينهما، وعليه فالتنمية المستدامة تسعى لتحسين نوعية حياة الإنسان، ولكن ليس على حساب البيئة، وهي في معناها العام لا تخرج عن كونها عملية استغلال للموارد الطبيعية بطريقة عقلانية بحيث لا يتجاوز هذا الاستغلال للموارد معدلات تجددها الطبيعة.

ثانيا: الحفاظ على التراث الثقافي في حظيرتي الأهقار والطاسيلي في إطار مبادئ التنمية المستدامة:

II. الحظائر الثقافية في الجزائر:

إن التطور الملحوظ في حماية البيئة من جهة وحماية الممتلكات الثقافية من جهة أخرى وانطلاقا من التكامل بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها؛ أصبح جليا من أنه لا يمكن فصل الثقافة عن البيئة فهما مفهومان غير قابلان للتجزئة خاصة فيما تعلق بالمناطق التاريخية والأثرية المفتوحة على الطبيعة. وهو ما تجلى في الجزائر بعد إنشاء حظيرة الطاسيلي وظهور الحاجة إلى إدارة هذه المناطق في إطار رؤية شاملة وموحدة ونهج متعدد التخصصات. وقد جاء في هذا الاطار قانون 98-04 المؤرخ في 20 صفر عام 1419 الموافق لـ 15 جوان 1998 المتعلق بحماية التراث الثقافي والذي عرف الحظيرة الثقافية بأنها: «فضاء لا يميز بين الطبيعي والثقافي، يلاحظ ويدرك من منظور بيئي وثقافي كأداة ثقافية ومنجز جماعي في إعادة تشكيل مستمر، منتج تاريخي للعلاقات المشتركة بين السكان ونشاطاتهم وتصوراتهم الذهنية والبيئة التي يتقاسمونها[8] وهو ما يؤكد على خصوصية هذه المناطق فهي مساحات تتميز بغلبة وأهمية الممتلكات الثقافية فيها، والتي هي جزء لا يتجزأ من البيئة الطبيعية.

ولقد شرعت وزارة الثقافة في القيام بمشروع أشمل هو الأول من نوعه في العالم، وهو إنجاز شبكة حظائر ثقافية على المستوى الوطني، حيث توسعت مساحة المناطق المحمية في الجزائر إلى 937430 كم^2 [9]، وستحرص فيها على ربط الثقافة بالبيئة لما لهما من إسقاطات على بعضهما البعض. فبالإضافة إلى حظيرتي الأهقار والطاسيلي تم إنشاء ثلاث حظائر أخرى: حظيرة الأطلس الصحراوي وحظيرة تندوف وحظيرة «توات- قورارة- تيدكلت». وقد مر إنشاء الحظائر الثقافية

المجلد: 04؛ العدد: 01؛ 2015
ص 195-209



مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

بالجزائر على المراحل التالية:

1972	انشاء الحظيرة الوطنية طاسيلي ناجر على مساحة 3.000كم²
1982	توسيع مساحة الطاسيلس ناجر الى 72000كم² وتصنيفه في مواقع التراث العالمي المشترك.
1986	اعتباره كمحمية للمحيط الحيوي.
1987	اعادة تنظيم حظيرة الطاسيلي وتوسيعها الى 138200كم²
1987	انشاء الجظيرة الوطنية للأهقار على مساحة 450000كم²
1998	صدور القانون 98-04 المتعلق بحماية التراث الثقافي
2007	دمج انشاء الحظائر الثقافية في المخطط التوجيهي للمناطق الأثرية والتاريخية (الذي يعتبر كجزء من SNAT)
2008	انشاء الحظائر الثقافية الثلاثة: الأطلس الصحراوي، تندوف وحظيرة توات- قورارة- تيدكلت

Source : Parcs Culturels du Tassili N'Ajjer et de l'Ahaggar - Plan d'Action pour la Biodiversité (PAB), 2010, p3.

III. التراث الثقافي في حظيرتي الأهقار والطاسيلي:

- **الحظيرة الثقافية الأهقار :**

تقع حظيرة الأهقار التي أنشئت سنة 1987 في أقصى جنوب الجزائر، على مساحة450.000كلم²، تعين حدودها كالتالي:[10] الشمال: بلدية المنيعة بولاية غرداية وبلدية رويسات بولاية ورقلة، الشمال الشرقي: بلدية برج عمر إدريس بولاية إيليزي، الشمال الغرب: بلديتي أولف ورقان بولاية أدرار، الشرق : بلدية برج الحواس بولاية إيليزي، الغرب: بلدية برج باجي مختار بولاية أدرار، الجنوب: حدود جمهورية النيجر ويقدر طول الشريط الحدودي بحوالي 844 كلم وحدود جمهورية المالي ويقدر طول الشريط الحدودي بحوالي 338 كلم، وهي الأكبر في الجزائر، وهي قديمة التكوين حيث يبلغ عمرها بين 600 ألف ومليون سنة، مما أدى إلى ترقيتها إلى حظيرة وطنية محمية من طرف الديوان الوطني للحظيرة بموجب مرسوم رئاسي وهو جهاز ذو طابع إداري وثقافي أسندت له من خلال مديرياته الثلاثة في كل من تمنراست وعين صالح وأدلس مهمة حماية وترقية هذا الإرث الحضاري بالمنطقة[11]، وقد تم تغيير اسمها من الحظيرة الوطنية للأهقار إلى الحظيرة الثقافية للاهقار وفقا المرسوم التنفيذي رقم11-87 المؤرخ في 21 فيفري 2011.

إن القيمة التاريخية للحظيرة تعكسها نقوش وكتابات التيفينغ ولوحات صخرية تعود الى 600 ألف سنة تؤكد وجود حضارات في منطقة الصحراء سبقت حضارة الفراعنة، كما تضم



مواقع جيولوجية نادرة كمناجم وأثريات وبقايا مقابر تعود إلى ما قبل ظهور الإسلام، بالإضافة إلى الكثير من النقوش كالرسومات الصخرية مما جعل ولاية تمنراست أغنى منطقة سياحية في الجزائر، كما أنها تعيش أكثر الطقوس كالاحتفالات الشعبية والأعياد المحلية كعيد الربيع أو ما يسمى «التافسيت والأسيهار»، وهي معارض تجارية تفتتح شهري جانفي وفيفري وجملة من الزيارات التي تشكل جزءا لا يتجزأ من ثقافة ووجود سكان الصحراء. إضافة لمناظرها الخلابة وسحرها الجذاب والجبال الصخرية أين توجد أحد أعلى القمم بالجزائر وهي: قمة تاهات اتاكور 3301م وكذلك يوجد بها أحد أجمل الممرات في العالم وهو ممر الأسكرام الذي يمكن من خلاله مشاهدة أجمل شروق وغروب للشمس في العالم.

- **الحظيرة الثقافية طاسيلي ناجر:**

تقع الحظيرة الثقافية للطاسيلي ناجر في الجنوب الشرقي للجزائر وتقدر مساحتها بـ 138.000 كلم^2، تعين حدودها كالتالي:[12] الشمال: التكوينات الرملية للكثبان الواقعة شمال التكوينات الرسوبية لهضبة التاسيلي ن أزجر، الغرب: بلديتي تازروك وأدلس بولاية تامنغست، الشرق: حدود ليبيا ويقدر طول الشريط الحدودي بـ 520 كلم، الجنوب: حدود جمهورية النيجر ويقدر طول الشريط الحدودي بـ 220كلم. وقد تم تأسيسها سنة 1972، ثم صنفت ضمن التراث العالمي من طرق منظمة اليونسكو سنة 1982 ثم وسع إلى مساحته الحالية 138.200كم^2 سنة 1986 وصنف كمحمية للمحيط الحيوي.

وهو عبارة هضبة من الأنهار في سلسلة جبلية، ترتفع بأكثر من 2000 عن سطح البحر عرضها من 50 إلى60 كلم وطولها800 كلم مشكلة مساحة 12000كلم^2، ترتفع من على الرمال قمم صخرية متآكلة جدا تعرف بالغابات الصخرية وكأنها أطلال مدينة قديمة مهجورة بفعل الزمن والعواصف الرملية، ويعتبر موقع التاسيلي من أهم وأروع المواقع العالمية من حيث طبيعته الجيولوجية، ويعود تاريخ هذا الموقع إلى 6000 سنة قبل الميلاد، وتتجلى عظمته من حفرياته التي كشفت عن بقايا الحيوانات والنباتات التي كانت تعيش بهذه المنطقة، ومن أهم مميزاتها: وجود أكبر وأجمل رواق للنقوش الصخرية على الهواء الطلق بالجزائر بمحطاته الـ 75 التي تضم أكثر من أربعة آلاف شكل تم جردها عبر مسافة تقدر بنحو 30 كلم.[13]

Source : Parcs Culturels du Tassili N'Ajjer et de l'Ahaggar - Plan d'Action pour la Biodiversité (PAB), 2010, p14.



- **التراث الثقافي في الأهقار والطاسيلي:**

تستفيد الممتلكات الثقافية المنقولة والغير منقولة والغير مادية من إجراءات وتدابير مصممة خصيصا لكل فئة من أجل حماية وتعزيز هذه الممتلكات؛ التي توجد في أعلى هرمها الحظائر الثقافية باعتبارها إرثا للإنسانية من الحضارات التي تعاقبت من عصور ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا.

التراث الأثري: لقد تعاقبت عدة حضارات في منطقة الأهقار والطاسيلي وذلك منذ العصور الحجرية القديمة حيث شهدت المنطقة الثقافة Oldowayen والثقافة الاشولينية Acheuléen وذلك من خلال الأدوات الحجرية الموجودة كذات الوجهين biface والسواطير hachereaux، كما توجد شواهد على الحضارة العاترية Atérien المميزة لشمال إفريقيا كالصناعات الحجرية المختلفة التي تميز جميعها بمحاور pédoncule. إضافة إلى شواهد العصور الحجرية الحديثة كالأدوات الفخارية والزراعية والتماثيل المنحوتة، كما تميزت المنطقة بالآثار الجنائزية والطقوس المختلفة.[14] إضافة للعديد من الآثار التي تعكس الحقب الزمنية المختلفة والحضارات التي شهدتها هذه المنطقة.

النقوش الصخرية: تعتبر منطقة الأهقار والطاسيلي من أهم مواقع النقش الصخري عالميا، حيث نقل رجل العصر الحجري يومياته وحياته من خلال نقشها ورسمها على الجدران والسقوف، حيث تمثلت الرسومات في حيوانات ومشاهد من الحياة اليومية إضافة لبعض الأشكال الهندسية.




نموذج من النقوش الصخرية المتواجدة بالأهقار والطاسيلي

التراث المبني: توجد بعض المباني لكنها في حالة متدهورة، إلا أنه توجد بعض المباني في



مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

الأهقار التي تخضع ببعض الاهتمام من أجل ترميمها وتصنيفها مثل: صورو اق امستان sorro ag amesten، صورو بتازروق sorro de tazrouk، حصن تشارلز دي فوكو وقصبة بجودة. ومن جهة أخرى نجد المباني التقليدية التي تتمثل في مجموعة من القصور والقرى التي تتميز بطابع سكني مكيف مع الظروف المناخية والاجتماعية بالحظيرتين مثل قصور جانت (الميهان، ازلواز) وقرى اهرير، اهرهار وايميهرو بالطاسيلي ناجر، ومرتوتك وتيط بالأهقار التي بنيت كلها بالطين؛ وهي بالتالي تقدم نموذج رائع عن الاستدامة[15].

__التراث الغير مادي:__ التراث الغير مادي في الأهقار والطاسيلي ينقل لحد الآن موروث الأسلاف المتجذر في ذاكرة المجتمع من خلال التقاليد الشفوية والأساطير حيث يترجم جزء كبير منه في ألحان الايمزاد والتيندي، كما أن المعارف المكتسبة من الأجداد تمكن سكان المنطقة من نسج علاقة وطيدة مع الطبيعة فكل جبل في الأهقار أو الطاسيلي إلا وله أسطورة معينة.

- **الطوارق:** هم أمازيغ يطلق عليهم بالرجال الزرق اشتق اسمهم من الكلمة الأمازيغية «Targa» التي تعني الساقية أو منبع الماء، ويطلقون على أنفسهم «الإموهار» التي تعني في اللغة العربية الرجال الشرفاء الأحرار. يعيش الطوارق في قبائل يرأس كلا منها شيخها الخاص»أمغار» تحت إشراف حكيم الحكماء «أمينوخال» الذي يعين من قبل شيوخ القبائل. تعيش هذه القبائل حياة الترحال في الخيام عبر رمال الصحراء متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم بداية من لباسهم الذم يقيهم من الحر والقر «فالاليوان والتندي والالوقال فالشاش ذي اللون النيلي، الاكرياري) السروال(والاراوسال)القندورة(والا راتيمن) الحذاء(كلها تجعل هذا الباس من المميزات الخاصة بالاهقار والطاسيلي»[16] إلى فلكلورهم الذم يعود إلى آلاف السنين المعبر عن آلامهم كسعادتهم باستخدام الشعر والتندي والأمزاد الذين تعزف عليهما الترقيات ويرقص على أنغامه الرجال الملثمون الذين ينقلون إلى السائح قصصهم وأساطيرهم كأسطورة تنهينان أم الأشراف وأشهر امرأة في تاريخال الطوارق والتي أسست مملكة الهقار، يوجد ضريحها اليوم في منطقة أباليسة في تمنراست. ويتكلم التوارق لغة «الايموهار» المشتقة من البربرية ويسمى الخط التيفناغ ويحتوي على 25 حرفا على الأقل»[17].

لكنّ هذا الثراء اللافت، تتهدده أخطار قد تؤدي إلى تلاشي صفحات ذهبية من تراث وحضارات الجزائر، يأتي في صدارة هذه المخاطر عوامل طبيعية داهمة كالجفاف والتصحر، والرياح والسيول الجارفة وهي ليست بأخطر من اعتبارات إنسانية تهدد التنوع البيئي



والبيولوجي الذي تمتلكه الحظيرة سواء عم طريق التهريب وسرقة القطع الأثرية المنتشرة في الحظيرتين أو الممارسات السلبية للسياح والزوار، أو بسبب قلة الوعي لدى المواطنين بأهمية التراث وإهماله. كما أن المساحة الواسعة للحظيرتين تحول دون إمكانية المراقبة الشاملة والكلية لها.

وعليه تعود مهمة الحفاظ على هذا الموروث وتثمينه لديواني الحظيرتين بصفتهما الجهة المسؤولة عن تسييرهما؛ حيث تعمل الحظيرة الوطنية للأهقار في مجال حفظ التراث والموروث الحضاري الوطني، من خلال هرم مهيكل إداريا، ويتكون الهرم من ثلاث مديريات جهوية لحماية وحراسة التراث، ولهذه المديريات تفريعات تتوزع على ثلاثة أنواع: «مركز حراسة الموقع، مركز حراسة ومراقبة، مركز إغاثة وإعلام، ناهيك عن مركز بوابة»[18]. وهذه المراكز جميعها تعمل بالتنسيق مع المصالح المعنية من درك وجمارك وشرطة المطارات ونقاط العبور، بغرض تأمين التراث من ظواهر النهب والسرقة والتهريب، كما يوجد تشكيل إداري عمودي يتألف من أربعة أقسام منضوية تحت مظلة الإدارة العامة، ومن مهام الأخيرة ترقية العنصر البشري بالتكوين والخبرات لتثمين الموارد البشرية المحلية وخلق روابط متينة بينها وبين الموروث الثقافي الوطني. وإلى جانب هذه الأقسام، هناك قسم خامس للدراسات وتنمية التراث الطبيعي يهتم بدراسة وجرد ومتابعة مكونات التراث الطبيعي، إضافة إلى قسم سادس يهتم بدراسة وحفظ التراث الثقافي، ومن مهامه البحث ودراسة الموروث المادي وغير المادي، وإنشاء ميكانيزمات من شأنها حفظه ونقله إلى الأجيال القادمة، كما يوجد هناك قسم سابع مختص في الاتصالات والتنمية السياحية، ومن مهامه الإعلام والاتصال ومراقبة مشاريع التنمية في مختلف القطاعات، حتى لا تكون هناك أي انعكاسات سلبية على منظومة التراث[19]. وهو الحال بالنسبة لديوان حظيرة الطاسيلي التي تراقب الداخلين للحظيرة من خلال مراكز حراسة وعبور وهذا طبعا بالتنسيق مع المصالح المعنية.

كما استفادت الحظيرتين من مشروع للحفاظ على التنوع البيولوجي وهو ما يساهم بالتأكيد في الحفاظ على ممتلكات الحظيرتين واستدامتها.

IV. مشروع المحافظة على التنوع البيولوجي بالمناطق ذات الأهمية العالمية في حظيرتي الأهقار والطاسيلي:

يندرج هذا البرنامج في الرؤية طويلة الأجل لوزارة الثقافة لجعل الصحراء كاقليم متفرد



يسير بطريقة مترابطة لا نفصل فيها بين القيم الثقافية، موارد التنوع البيولوجي وخدمات النظام الايكولوجي. وفيما يلي سنتعرف عن هذا المشروع:

اسم المشروع	المحافظة على التنوع البيولوجي ذو الأهمية العالمية والاستعمال المستدام لخدمات الأنظمة الايكولوجية في الحظيرتين الثقافيتين الأهقار والطاسيلي ناجر Préservation et utilisation durable de la diversité biologique d'intérêt mondial dans les Parcs Culturels du Tassili N'Ajjer et de l'Ahaggar
الوزارة المسؤولة والمساهمة في المشروع	وزارة الثقافة
الهيئات الدولية المساهمة في المشروع	الصندوق العالمي للبيئة FEM , برنامج الأمم المتحدة للتنمية PNUD
أعضاء لجنة قيادة المشروع	وزارة الثقافة، وزارة الشؤون الخارجية، برنامج الأمم المتحدة للتنمية PNUD، وزارة الداخلية والجماعات المحلية، وزارة المالية، وزارة البيئة وتهيئة الاقليم والسياحة، وزارة الفلاحة، وزارة الموارد المائية.
هدف المشروع	- المحافظة على التنوع البيولوجي في حظيرتي الاهقار والطاسيلي عن طريق تحديد إطار عام للتسيير والاستعمال المستدام للتنوع البيولوجي في المنطقة[20] - الموازنة بين الضغط والطلب على خدمات الأنظمة الايكولوجية بطريقة مستدامة. - المساهمة في التعريف بالصحراء كمنطقة ذات أهمية عالمية.
مراحل المشروع	جاء هذا المشروع على مرحلتين: **المرحلة الأولى** وتمحورت حول أدوات التسيير في حظيرتي الأهقار والطاسيلي في المجال القانوني والمؤسساتي، وقد لاقت هذه المرحلة تقييما ايجابيا من طرف الخبراء. وعليه تم إطلاق **المرحلة الثانية** من أجل تحديد الأنشطة والممارسات اللازمة للحفاظ على التنوع البيولوجي في الحظيرتين ومن ثم توسيع مجال الاستفادة إلى الحظائر الثقافية الأخرى:[21] حظيرة الأطلس الصحراوي، حظيرة تندوف، حظيرة توات-قورارة-تيدكلت والتي أنشئت بموجب المراسيم التنفيذية 407 – 09، 09 – 408، 09-409 على الترتيب والصادرة بتاريخ29 نوفمبر2009.

وقد أطلق ضمن المرحلة الثانية من هذا المشروع خطة العمل من أجل التنوع البيولوجي (PAB) والتي تمثل الإطار التنفيذي له؛ وقد جاءت في 7 محاور نذكرها كالآتي:

- التسيير التشاركي للتنوع البيولوجي،



- مراقبة ومتابعة التنوع البيولوجي،
- السياحة المستدامة،
- الإعلام التعليم والاتصال،
- البنى التحتية،
- الموارد البشرية،
- الدراسات التكميلية والتخطيط.

خاتـمة:

يشكل الموروث اللامادي والمعالم الأثرية المتواجدة في الصحراء الجزائرية في زمن العولمة تحد كبير للإنسان من حيث كثافة الأسرار التي تحتفظ بها والتي يمكن أن تكون رافدا ثقافيا مهما وملجأ فنيا يمكن لو استغل بأقل الإمكانيات وأيسر الطرق أن يكون عالما ثقافيا قائما بذاته، يمكنه تغيير الكثير من المواقف التقليدية وتقديم التراث الجزائري والصحراوي على الخصوص للباحثين عن جمال الطبيعة ونقاوتها وهدوئها.

فالاهتمام بمثل هذه المناطق الإستراتيجية بإمكانه أن يساهم في تحقيق العديد من المنافع الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي إعادة تحديد النظرة إلى الصحراء الجزائرية وتجاوز معاني الثروات النفطية فيها، كما يمكن بقليل من الجهد أن يتجاوز مفهوم طال تداوله بأنها منطقة قاحلة ومعزولة. إلا أنه بالمقابل يجب العمل على الحفاظ وتعزيز التراث الثقافي بالمنطقة وحمايته من مختلف التأثيرات، فبالرغم من الدور الكبير الذي يلعبه ديواني حظيرتي الأهقار والطاسيلي والخبرة التي اكتسباها على صعيد حماية وحفظ المكتسبات الحضارية والأثرية الوطنية المتواجدة في مساحة تقارب سبعمائة ألف كيلومتر مربع، إلا أنه يمكن الجزم بأنّ الحظيرتين وعمالهما لن يستطيعوا الوفاء بموجبات هذه المساحة، ما لم يكن هناك حس ووعي لدى الجميع بأهمية هذه الثروة وحساسيتها؛ وهو ما يدعو إليه برنامج حفظ التنوع البيولوجي في حظيرتي الأهقار والطاسيلي حيث يركز بالدرجة الأولى على التسيير التشاركي بالحظيرتين وضرورة دمج السكان المحليين في الحفاظ على موارد الحظيرة. كما أنه يقدم مجموعة من التدابير والخطوات التي تساعد الديوانيين على المحافظة على موارد الحظيرة وتنميتها واستدامتها، فضلا عن ترشيد استخدامها وترسيخ الشعور بالمسؤولية لإبقاء الحظيرتين صرحا شامخا في سماء الجزائر.



هوامش البحث:

1 . ابراهيم بظاظو، السياحة البيئية واسس استدامتها، الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ص: 306.

2 . بالحاج حمو عبد الله، بابانجار يونس، النصوص القانونية المتعلقة بالتراث الثقافي الجزائري، وزارة الثقافة، 2013، ص: 8.

3 . ابراهيم بظاظو، المرجع السابق، ص: 465.

4 . المرجع نفسه، ص: 469.

5 . اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، الاقتصاد البيئي والتنمية المستدامة، 1989، ص: 83.

6 . ايمان محمد الطائي، حسن حمود الفلاحي، التكوين الاجتماعي والثقافي ودورهما في التنمية المستدامة، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد الحادي عشر، بغداد، ص 28.

7 . لزعر علي، ناصر بوعزيز، البيئة والتنمية المستدامة: قراءة في المفهوم، الملتقى الوطني حول: آفاق التنمية المستدامة في الجزائر ومتطلبات التأهيل البيئي للمؤسسة الاقتصادية، جامعة قالمة، 2010، ص:2.

8 . مرسوم تنفيذي رقم 12-291 مؤرخ في 2 رمضان عام 1433 ا لموافق 21 يوليو سنة 2012، المادة 2، العدد 44 من الجريدة الرسمية، 29 يوليو 2012، ص: 5.

9 Parcs Culturels du Tassili N'Ajjer et de l'Ahaggar - Plan d'Action pour la Biodiversité (PAB), 2010, p : 3.

10 . مرسوم تنفيذي رقم 12-291 مؤرخ في 2 رمضان عام 1433 ا لموافق 21 يوليو سنة 2012 المادة 3، العدد 44 من الجريدة الرسمية، 29 يوليو 2012، ص: 5.

11 .http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%A8%D8%A7%D9%84_%D9%87%D9%82%D8%A7%D8%B1

12 . مرسوم تنفيذي رقم 12-292 مؤرخ في 2 رمضان عام 1433 ا لموافق 21 يوليو سنة 2012 المادة 3، العدد 44من الجريدة الرسمية، 29 يوليو 2012، ص: 11.

13 . http://ar.wikipedia.org

14 . Parcs Culturels du Tassili N'Ajjer et de l'Ahaggar – Op. Cit. p :16.

15 . Ibid. p :18.

16 . تقرير حول السياحة في الجزائر، الهقار والطاسيلي عالم من الطمأنينه، الديوان الوطني الجزائري للسياحة.

17 . المرجع نفسه.

18 www.startimes.com/f.aspx?t=23022928 consulté le 10-05-2014

19 . Ibid.

20 . Evaluation finale du projet Préservation et utilisation durable de la diversité biologique d'intérêt mondial dans les Parcs nationaux de l'Ahaggar et du Tassili (Phase 1), Octobre 2010, p 4.

21 . العدد 76 من الجريدة الرسمية، 6 ديسمبر 2009، ص: 4، 8، 12.